



الجمهورية الإسلامية المقدسية
مجلس الشورى والفكرية والثقافية

مهرجانات فتوى الدفاع المقدس الثقات في العراق

تحت شعار

مبداء العلماء وكمياء الشهداء حفظ ارض الانبياء

فتاوى المرجعية
وأثرها على الأمن السلمي في العراق

الباحث عبد الكريم جعفر الكشفي

م. د. خالد جعفر مبارك

١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م

المقدمة

لقد كان للمرجعية الدينية الشريفة دور فاعل في أحداث العراق والمنطقة قبل سقوط النظام لا يمكن لأحد أن يتجاهله، إذ يعود تاريخ مشاركة علماء الدين العراقيين في صميم السياسة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى، حيث دعا علماء الشيعة للجهاد مع العثمانيين ضد الإنجليز، وساهم بعضهم في القتال فعلا، وفي عام ١٩١٨ تأسس في النجف حزب باسم (حزب النجف السري) من ساسة ورجال دين شيعة، وكان برنامجهم يدعو لاستقلال العراق وتأسيس حكومة برئاسة أحد أبناء الشريف حسين، ثم الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، إلا أن تنامي دورها الأساس والرئيسي في الشؤون العامة ظهر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، وبعد صعود التيارات السياسية الإسلامية والقومية والمدنية إلى السلطة في العراق اثر سقوط النظام البائد، ظهرت بعض الأصوات الشعبية تطالب بإشراف ورعاية المرجعية الدينية في النجف الاشرف وعلى رأسها (آية الله السيد علي السيستاني) على العملية السياسية في العراق وعدم ترك الأمور بيد الاحتلال وتلك التيارات السياسية المختلفة، وفعلا دعت المرجعية الدينية الشريفة إلى اخذ رأي الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداء من الدعوة لتشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة، ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين، والدعوة أيضا لإجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخابات أعضاء المجالس المختلفة، (مجلس النواب، ومجالس المحافظات والاقضية والنواحي)، لذلك كان- ولا يزال- للمرجعية الدينية في النجف الاشرف دور مهم في المرحلة الراهنة لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي لتلك التيارات والأحزاب السياسية العراقية، ثم تصاعد هذا الدور وبشكل لافت للنظر بعد دخول

تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على أجزاء مهمة في الموصل والانبار وكركوك وصلاح الدين، وخاصة فتوى الجهاد الكفائي لصد التنظيمات الإرهابية والدفاع عن الوطن والمقدسات وآخرها الوقوف مع الشعب في مطالبته بالتغيير ومحاسبة المسؤولين المقصرين والفاستدين وتوفير الخدمات للشعب.

والكتابة عن هذا الموضوع تتطلب منا التمعن والتبصر بتلك الانتصارات والبحث عن القوة الحقيقية الكامنة وراء تلك الحشود العظيمة، لهذا ارتأينا أن نقسم البحث الى ثلاثة مباحث تناولنا في الاول ومضات تاريخية عن فتاوى المرجعية، وفي الثاني المرجعية وفتاوى الجهاد المقدس، وفي المبحث الثالث فتاوى المرجعية والأمن السلمي، لنختتم بحثنا بخاتمة ونتائج للبحث ومن ثم قائمة بأهم المصادر الداعمة للبحث.

إنَّ النصر الحقيقي على (داعش) إن شاء الله سيتمثل في النهاية بالتفاف الشعب حول مرجعيته الرشيدة والتي عودتنا على مواقفها الحاسمة في اصعب الظروف، لتكون بذلك صمام أمان لكل العراقيين والداعم الاساسي لقوات الحشد الشعبي مدعومة بالقوات المسلحة وابناء العشائر الغيارى ليخرج العراقيون من المعركة أمة واحدة عراقية يجمعها وطن نهائي واحد هو العراق الجميل الواحد المستقل المزدهر.

الباحثان

بعقوبة الخضراء

البحث الاول:

ومضات من تاريخ فتاوى المرجعية

إنَّ تاريخ علماء الشيعة الجهادي ومليء بالأحداث الملتهبة والمهمة والتي لا يمكن اختصارها في بحث او بحثين، لاسيما الحديث منها وهو رهين التاريخ النضالي والجهادي الدامي الذي قامت به المرجعية الرشيدة والعلماء المجاهدون..، لقد كان هذا النضال في حقبة بالغة الحساسية من تاريخ المسلمين في العراق، وكان لرجال الدين والمرجعية دورهم المميز بدءاً من ثورة التبناك مروراً بالاحتلال الروسي لإيران، والاحتلال البريطاني للعراق وثورة العشرين، واخيراً وليس اخراً فتوى الجهاد الكفائي الذي اصدرته المرجعية بالجهاد ضد عصابات (داعش) ومن لف لفهم من ازلام النظام السابق وبقايا البعث المقبور.

لقد شاب هذه الفتاوى العظيمة عبر مسارها الكثير من التشويش والبخس، اذ حاولت الدوائر المعادية والاستكبار العالمي إضعاف الترابط بين المرجعية والامة الاسلامية ويجاد حواجز بينهما..، فقد استطاع الاستعمار والمتعاونون معهم استقطاب العديد من الكيانات والوجودات السياسية، لكنها عجزت على الحصول على تعاطف المرجعية او تعاطف مرجع شيعي واحد، بل ان المرجعية والعلماء الراجعين للمرجعية حددوا منذ البداية موقفهم المبدئي من الاستعمار ومقاومة تدخله في بلاد المسلمين ورفض اي خيار يمس استقلال البلدان الاسلامية.

لقد ركزنا في هذه الوريقات على حقبة تحدي الاستعمار للبلاد الاسلامية خلال القرنين الماضيين وهذا التحدي أخذ انماطاً عديدة من مواجهة تاريخية، لكنها تجتمع

في هدف واحد هو مواجهة الهجمة الاستعمارية والتطرف الاسلامي والسعي لتحقيق استقلال البلاد وسيادة الامن والامان. لقد كان لفتاوى المرجعية الرشيدة وعلمائها الدور الاكبر في التأثير على حركة الاحداث وصناعة الموقف التاريخي البارز في حياة الامة الاسلامية خلال تاريخها الحديث في الظرف الخالد التي تعيشه الامة الاسلامية ورغم صعوبة الاجواء التي احاطت بالمرجعية لكنها لم تلق كامل التأثير على حركة الاحداث السياسية والاجتماعية، فلقد كان للمرجعية وفتاويها الحضور الفاعل على حركة الاحداث، ولقد دخل على الساحة الراهنة، أخيراً المحاولات الارهابية والداعشية التي تحاول تحجيم والغاء تأثير المرجعية على الساحة وما يلي ومضات من فتاوى الجهاد للمرجعية الرشيدة:

لقد كانت أولى فتاوى الجهاد في العراق وايران التي اصدرتها المرجعية فيما تخص حركة المشروطية في ايران واحداثها عام ١٩٠٦ م وكذلك الحركة الدستورية العثمانية عام ١٩٠٨ م تركت بصماتها على الحس السياسي وتشكلت بدايات الوعي السياسي وبداية الارهاصات الحزبية في المدن العراقية، فأسست عدة احزاب سياسية في النجف والبصرة واسطنبول وطهران، حيث برز رجال دين مجاهدون كثر يطول الحديث عنهم...، وحركة المشروطية هي حركة المطالبة بالدستور وسميت بهذا الاسم لان الداعين لها اعتبروا مواد الدستور بمثابة شرط على السلطان او الملك في حكم رعيته وقد استمدت هذه الفكرة من فكرة العقد الاجتماعي التي شاعت في اوربا بعد الثورة الفرنسية^(١).

ثم جاءت ثاني فتاوى الجهاد الذي اصدرته المرجعية في العراق وايران عندما تم احتلال ايران من القياصرة الروس عام ١٢ تموز / ١٩٠٩ م حيث حارب هذا الاحتلال

(١) ينظر: موسوعة السياسة العراقية، د. حسن لطيف الزبيدي، دار العارف، بيروت، ٢٠١٢

الوعي الاسلامي لدى المرجعية في ايران والعراق عام ١٩١١، فقد وقف علماء العراق وعلى رأسهم الشيخ محمد رضا الشيبلي والشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد مهدي الحيدري والسيد اسماعيل الصدر والشيخ احمد الصافي والشيخ مهدي الخالصي موقفاً شديداً ضد الاحتلال الروسي لإيران واصدروا فتاوى بالجهاد ضده مطلقين على موقفهم هذا اسم حركة الجهاد التي وجدت استجابة جماهيرية واسعة في الجمهور المسلم وتشكلت كتائب المجاهدين العراقيين لمحاربة روسيا واخراجها من ايران، وعند اعلان علماء الدين الجهاد تجمع آلاف المقاتلين في الكاظمة وقد نصبت الخيام في اطراف البلدة ولمسافات طويلة وخرجت العشائر العراقية في عشرة آلاف مقاتل الى منطقة المحمودية لاستقبال علماء الدين والمجاهدين القادمين من النجف، وقبل وصول الطلائع الى الكاظمة وصلت الى العراق اخبار انسحاب القوات الروسية من ايران^(١).

واصدرت مجلة العلم عام ١٩١٠ للسيدة هبة الدين الشهرستاني الذي عاضده محمد حسين كاشف الغطاء وتميزت مساعي هذين الرجلين بنشر الوعي السياسي والثقافي الذي مهد لثورة العشرين في العراق.

أما فتوى الجهاد ضد الاحتلال البريطاني، والذي ما ان دخلت القوات البريطانية الاراضي العراقية عام ١٩١١ م حتى ارتفعت دعوات الجهاد ودوت في كل ارجاء العراق، حيث اصدرت المرجعية في النجف عدة فتاوى للدفاع عن بيضة الاسلام ضد العدو الكافر واصدر محمد سعيد الحبوبي والسيد كاظم اليزدي والشيخ الخالصي وشيخ الشريعة مصطفى الكاشاني وعلي الداماد فتاوى بالجهاد ضد المحتل البريطاني، اذ افتى محمد تقى الشيرازي في سامراء مقر المرجعية الدينية آن ذاك فتوى بضرورة الجهاد ومحاربة المحتل البريطاني وارسل ابنه محمد رضا لالتحاق بجامعة من العلماء في جبهات

(١) ينظر: موجز تاريخ العراق السياسي الحديث، مختار الاسدي، مركز النهريين الصدرين

القتال في الجنوب كما وصل الى النجف ٦٠٠ فارس من المجاهدين الاكراد وتحركت كتائب شعبية في عدة مدن لتلبية فتوى الجهاد، بعد ان ادرك العراقيون انهم امام حقيقة استعمارية بغیضة تنوي استعباد الشعب العراقي وامتصاص ثروتهم وسحق كرامتهم.

فقد اصدرت المرجعية الدينية في العراق فتاوى التصدي للمآرب البريطانية في ٢١/٤/١٩٢٠ م، وعقد اجتماع كبير في بغداد بمناسبة ولادة الامام الحسين عليه السلام في جامع الحيدرخانه ضم قيادات التحرك السياسي في عموم العراق للتنسيق فيما بينهم لتصعيد نشاط الجهاد ضد سلطات الاحتلال، وقد انتخب المجتمعون وفداً لتقديم مطالب الأمة، واللقاء الى الوكيل الحاكم الملكي العام في بغداد، ولم تلق مطالب رجال الدين والمرجعية آذان صاغية لدى البريطانيين، مما اضطر رجل المرجعية الاول محمد تقي الشيرازي اصدار فتوى الكفاح المسلح لإخراج المحتل من العراق، وقد ذهب جمع من العلماء الى ضريح الامام الحسين واقسموا جميعاً على ما اتفقوا عليه.

لقد بدا للمرجعية وعلماء الدين ان البريطانيين لا يريدون الاستجابة لمطالب الشعب وهذه الحالة ولدت اندلاع الثورة العراقية في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠ م ليستكمل فيها المشروع الشيعي السني الطويل في العمل السياسي ضد الاستعمار الذي بدأ بالتحرك السياسي ثم لجأ الى العمل المسلح حين لم يجد ثمة خياراً آخر^(١)

وكانت اخر فتاوى المرجعية هي فتوى الجهاد الكفائي ضد الخطر الجديد الذي يهدد بيضة الاسلام الا وهو حركة داعش الوهابية التي سيطرت وبواسطة الاستكبار العالمي بالسيطرة على اجزاء من العراق وسوريا، لقد كان لفتوى المرجعية الاثر الكبير في وقف تقدم داعش للوصول الى بغداد والمرقد الدينية في كربلاء والنجف اضافة الى الدعم المادي والمعنوي لسرايا الحشد الشعبي والقوات المسلحة.

(١) دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، سليم الحسيني، مؤسسة الثقليين، دمشق، د.ت:

المبحث الثاني :

المرجعية وفتاوى الجهاد المقدس

المعطيات الصادرة عن الاحداث في العراق تعكس العديد من الصور والتجليات لحقائق واضحة وضوح الشمس، تظهر في كل مناسبة مواقف وشخوص وقامات، ومتغيرات لا تفتأ ان تكون مفصلية، لترسم في كل منعطف خارطة جديدة لمسار الاحداث المتداخلة، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، حتى بات لدى القاصي والداني رؤية متكاملة تبين له الخيط الابيض من الاسود، فتكشف تارة عمن حمل العراق شعبا ووطنا بين جنبيه وروحه، وبين من اتخذ من هذا العنوان مصطلحا للمتاجرة والمماكسة والتربح الشخصي، ماديا ام معنويا، لتطيح المحن التي مرت بهذا البلد الكثير من الاقنعة المزيفة، ممن اتقن المكر والنفاق والخديعة، وفي الوقت ذاته كشفت عن معادن الاوفياء للدين والوطن والامة الاسلامية والعربية، لتصقل بذلك درر الرجال ممن اوفوا بما عاهدوا الله عليه، ما تعرض له العراق من نكسة اهتز لها صميم الدولة، وكادت لولا لطف الله وهمة الغياري ان تطيح بمكتسبات العهد الجديد، وتبدد سيل الدماء الذي جرى على مدى عقود في سبيل اقامة نظام ديمقراطي ضامن للحرية والتعددية للفرد والمجتمع، لقد كان لتهديد داعش والحركات التكفيرية التي تتخذ من الاسلام ثوبا لها اثر كبير في حشد طاقات واسعة من الشعب للوقوف بوجه هذه الهجمة الشرسة التي تستهدف بيضة الاسلام، وعلى الجميع الانتباه الى وجود محاولة مستمرة لتصوير انتفاضات وثورات الشعوب المظلومة على انها سيناريوهات مفتعلة من قبل بعض الاجهزة الدولية^(١).

(١) ربيع الشعوب، وخريف الدكتاتوريات، اكرم الحكيم، مطبعة العدالة، بغداد ٢٠١٢: ١٤٤.

ولعل اصطفاً المرجعية الرشيدة واتخاذها الإجراءات المناسبة ليس بعيداً عن مواقف المرجعية، والتي هي صمام امام كلما اشتد الخطر وضائق السبل، لذا كان لنداء المرجعية الرشيدة الدور الفاعل، حيث هب العراقيون من كل حذب وصوب، لنصرة العراق والدفاع عن عرضه وأرضه وماله، فضربوا أروع البطولات التي سطروها في معارك التحرير وكتبوا ملاحمهم بحروف من ذهب، نقشت على صفحات التاريخ بصور خالدة لا تنسى أبداً على مر الزمان، فكان النداء صرخة في وجه الظلم والمهمجية التي أرادت بشعبنا الأذى، ولكن أبناءنا من الحشد الشعبي أبوا أن لا يحصل ذلك، فتناخوا فيما بينهم، وسحقوا رؤوس الخونة والارهاب من الدواعش التكفيريين ومن لف لفهم وحققوا انتصارات لا مثيل لها في أمري وحميرين وصلاح الدين والسامراء رغم التصريحات والمواقف النشاز لبعض الكتل ورجالات كانتونات السياسة الداعمة لداعش، وهناك مسألة اخرى ظهرت بعد ٢٠٠٣ وهي وسائل الاعلام التي ليس هي وسيلة فنية فقط، بل هي احدى وسائل الهيمنة السياسية، كما ان امريكا سعت لتحسين صورتها امام الشعوب العربية^(١).

لقد كان لشعبنا الابي الدور الكبير في اسناد فتوى الجهاد المقدس وأن الوقوف مع القوات الامنية والجيش والحشد المقدس ومساندتهم واجب شرعي ووطني تمليه الظروف على كل عراقي شريف غيور على أرضه وعرضه، وإن تضمين الخطط العسكرية تأمين مخارج الإجلاء المدنيين وتحرير تلك المناطق هو بحد ذاته دفاع عن حقوق الانسان التي انتهكتها عصابات داعش الاجرامية بأبشع الصور، اننا مطالبون اليوم بدعم قوات الحشد المقدس بالغالي والنفيس لوقفته البطولية وان نشيد بقوة بفتوى المرجعية وتوجيهاتها التنظيمية لجهود الحشد الشعبي ودعوتها لتأمين سلامة المدنيين سكان تلك المناطق، كما طالبت المرجعية بتكثيف الجهد الحكومي لمعالجة الاثار التي

(١) الحراك الجماهيري الشعبي الواسع والتغيير في البلدان العربية، د.علي عودة العقابي، دار

سببتها هذه الهجمة الشرسة على العراق شعبا وحضارة..^(١).

لقد اثبتت وقائع الاحداث تجربة منفردة قام بها الحشد الشعبي في تاريخ حركات لتحرير الوطن ومحاربة الإرهاب وإعطاء درس كبير في مواجهة الانهيار النفسي والهزيمة العسكرية وخطوة مهمة لتحرير الأرض واسترجاع السيادة، ولعل هذا هو الأهم من وجهة نظر المرجعية الرشيدة؛ لأن استعادة الأمة لإرادتها وقدرتها على مواجهة التحديات والتداعيات ضمان لكل العراقيين ومصدر انبعاث الطمأنينة في نفوسهم، سيما أن الحشد الشعبي المقدس بات يحقق الانتصارات تلو الانتصارات في ظل الانقسام والتآمر الدولي والإقليمي، ولقد انقلبت المعادلات والمؤامرات، واننا نثمن ونحبي بطولات أبنائنا من القوات الامنية والحشد الشعبي لما يسطرونه من بطولات وتضحيات لتحرير المناطق العراقية التي وقعت تحت سيطرة العصابات الاجرامية اللاإسلامية.

ان هذه التجربة الفريد والتي املتها الظروف الصعبة والخطر الاتي من خلف الحدود لتمزيق بيضة الاسلام النقية وتقسيم العراق الغالي الى دويلات تحكمها عصابات مجرمة تتخذ من الاسلام ثوبا مزيفاً... لقد كانت تجربة الحشد المقدس إنموذجاً منيراً وفريداً لتلاحم الشعب العراقي الابي المجاهد بكل قواه وفئاته وقومياته أزالته واماطت الستار لمن كان على أعينهم غشاوة، وان الشهادة في الدفاع عن بيضة المسلمين هي اعلى انواع الشهادة عبر التاريخ الطويل، فقد كان للمرجعية الدور الكبير في تشجيع الناس للتضحية في سبيل الاسلام وان خط الشهادة يتحمل مسؤوليته المرجع على اساس ان المرجعية هي امتداد للنبوة والامامة^(٢)، فتحية لشبابنا وتحية للقوات المسلحة وتحية للحشد الشعبي المجاهد، تحية وإجلال وأكبار للشعب العراقي وللأممات اللاتية أنجبنا رجالاً وأرضعناهم حب الوطن وتحية للأبائ الذي سقوا أبنائهم من الوفاء والشجاعة، ورفعوا

(١) السيد علي الحسيني السيستاني، حياته فكره، اصدار مكتبة الحضارة، بيروت، لبنان ٢٠١٠:

(٢) الاسلام بقود الحياة، محمد باقر الصدر، مجمع الثقلين العلميط ٣، بغداد، ٢٠٠٤: ٢٠١.

رؤوسنا عاليا في سماء الوطن، وحفظتم الارض والعرض، إنها رسالة الى التاريخ، إنكم مؤمنون صدقتم بما عاهدتم الله، فطوبى للرجال الأمناء على شعبهم وأهلهم وأبنائهم، وطوبى لكل من يقف موقف الشرفاء في يوم ضاعت فيه القيم، وانحطت الأخلاق، وبعداً لكل من يصد عينيه عن اهله يوم الضيق.

إنَّ هذه الهبة المباركة جاءت لتقلب موازين القوى لصالح وطننا الذي استباحته قوى الظلام والشر والحقد بعض مدنه العزيزة بغفلة من الزمن وتآمر شرس داخلياً وخارجياً لتزداد جراح المواطن العراقي المنكوب بالفساد والمنهوب ماله وخيراته، لقد أسقط الحشد الشعبي بما يمتلك من حس وطني عالٍ وعقيدة قتالية وروح استشهادية كبيرة كل مراهنات ومؤامرات الأعداء ودواعش الداخل والخارج، فها هم يكيلون الضربات الموجعة لشراذم داعش ويسحقون فلولهم ويحررون أرضنا بشجاعة نادرة وهم يستلهمون روح التحدي والنصر من عظمة الرموز الدينية والوطنية، واضعين نصب أعينهم أحدى الحسينين النصر المؤزر على الاعداء ودحرهم للأبد أو نيل الشهادة، وقد روت دماؤهم الزكية أرضنا العزيزة في كل مدننا التي دنستها عصابات داعش في آمرلي والانبار وديالى وصلاح الدين، فكانوا بحق السند القوي لأبطال جيشنا المغوار وشرطتنا الوطنية وهم يذودون عن الأرض والعرض، فهنيئاً الشهادة لمن نالها والنصر المؤزر بإذن الله لشباب الحشد الشعبي وهم يتقدمون الصفوف لتحرير كل شبر من أرضنا العزيزة من دنس جردان داعش ومن يناصرهم من أعداء وطننا الغالي.

روعة البطولات التي يسطرها أبطال الحشد الشعبي، لا يمكن أن توصف الا بالصرخة الكبرى التي أذهلت الأعداء وقلبت الموازين وقضت مضاجع أرباب الفتنة وقلبت الطاولة على رؤوسهم وقطعت الطريق على مخططات التقسيم الرامية الى الغاء العراق من الخارطة السياسية والقضاء على دوره الريادي ومكائنه المرموقة في المنطقة والعالم، و لا بد من أن نقف هنا بإجلال وإكبار لفتوى المرجعية الرشيدة في النجف

الأشرف لسماحة السيد السيستاني (دام ظله) التي كان لها الفضل الاول في هذا السيل البشري من المجاهدين لأبطال الحشد الشعبي ولا نوفي تضحياتهم، حيث إن فكرة الجهاد الأصلية عند المسلمين والعرب تبرهن عن ادراكهم لفكرة الاستمرار والخلود في حياة الامم الاخرى فالفرد يفنى والحول ينقضي ليحفظ للأجيال المقبلة حريتها اذ لا حياة بغير الحرية والشعب الذي يفقد حريته يعيش عيشة الميت^(١).

فمنذ أن سقط النظام السابق تهدمت معه المؤسسة العسكرية بكاملها وكان أملنا أن تبنى من جديد على أسس تليق بعراق الحضارات ولكن السياسيون راحوا -وللاسف- يتصارعون على خيرات ومناصب الدولة، ناسين أن هناك شرا وأخطاراً تحيط به من كل الجهات، وبشكل مفاجئ ظهرت قوى الظلام من المتطرفين والبعثيين وغيرهم تحت عنوان داعش. وبين ليلة وضحاها تساقطت المدن العراقية بأيديهم التي لا ترحم وأصبح بعض من محافظات العراق محتلاً ولم نجد جيشاً سوى قوائم من الأسماء الفضائية ومئات من الشباب العزل تساق للذبح في سبايكر وهنا أصبح الخطر واضحاً ليس على الإنسان العراقي فحسب، بل حتى المراقدة المقدسة ناهيك عن ثروات البلد وأصبح الشعب بكل أطرافه حائراً مهزوماً أمام هذا البلاء يبحث عن منقذ، وفعلاً كانت الحوزة الدينية والسيد السيستاني المسؤول الأول عن طبيعة المواجهة إذ نادى بفتوى الجهاد الكفائي فهب الشعب لتلبية النداء دفاعاً عن الدين والأرض والعرض وها هم يتسابقون على الشهادة وقد تحققت الانتصارات على الأرض، نعم لو لم تكن الفتوى لما بقي شيء من العراق.

فهذه الانتصارات لها أهمية كبيرة في فتح آفاق إيجابية واسعة لتسوية المشاكل، وتعزيز التلاحم بين جميع المكونات العراقية، وايضاً يجب الاهتمام بمستحققات الحشد الشعبي ودفع مرتبات المتطوعين وتوفير المطلوب من الذخيرة والأسلحة والمعدات

(١) الثورة العراقية الكبرى، عبد الرزاق الحسني، مؤسسة المحبين، قم، ١٤٢٦ هـ: ٢٧.

لمواجهة الأعداء وتحقيق انتصارات المستقبل، لذا يجب ان تشكل لجان متخصصة لرعاية مقاتلي الحشد الشعبي و استيعابهم بالكامل ضمن إطار الدولة وتقديم يد العون لعوائلهم وادراج الشهداء منهم ضمن فقرات مؤسسة الشهداء، كذلك نطالب بعدم الزهد برجال الحشد الأبطال من الذين سطروا أروع الملاحم في معاركهم مع الإرهاب طاعة للمرجعية و حفاظا على المقدسات و تحريراً للأراضي المغتصبة، دفاعاً عن الوطن و المواطنين.

وما عسانا نقول إزاء ما يسطره أبطالنا الميامين من ملاحم بطولية في سوح الوغى وهم يقاتلون نيابة عن الإنسانية جمعاء من أجل القيم والمبادئ التي أرسى دعائمها جميع الرسل والأنبياء فما من نبي مرسل أو كتاب منزل إلا ويدعو إلى المحبة والتسامح والسلام، وعصابات داعش تدعو للكراهة والبغضاء وقتل البشر بوحشية مقيتة وهو خليفة الله الذي كرمه وسخر له كل شيء، وهذه العصابات الإرهابية التي عاثت في الأرض فساداً ولم ينج منهم بشر ولا حجر كان لا بد من الرجال أن يتصدوا لهم، فتنأخى أبطالنا من رجال الجيش والشرطة والحشد الشعبي ملين نداء الوطن مفسدين أرواحهم من أجل عزته والجود بالنفس أقصى غاية الجود، فما عساني أقول بوصف بطولات هؤلاء الأبطال الشجعان الذين كلت الألسن عن وصف بطولاتهم الا قول ابي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجند واللعب

إنَّ أفضل الطاعات على الاطلاق الجهاد والتعاون لردع هؤلاء الطغاة عن البغي وليس للإنسان شيء في الدنيا والاخرة الا بالعمل والكفاح، فمن البداهة ان القوة شرط اساس لكل جهاد ونضال ومن البداهة ايضا أنه لا قوة الا بالوحدة وهل ذهبت

الاندلس من قبل فلسطين من بعد الا بتفريق الكلمة وتصدع الصف^(١).

ختاما أقول أيها الرابضون بسوح الوغى نحن مدينون لكم بكل شيء، وما عسانا
الا نرفع أكفنا داعين الله تعالى أن يسدد خطاكم وينصركم على القوم الظالمين ويعيدكم
إلى دياركم سالمين غانمين محملين بأكاليل الغار وأنتم تعيدون رسم ابتسامة النصر
والفرح على ثغر العراق الباسم وطن الحب ودار السلام الذي ظل عصيا على الاعداء
على مر الزمن.

(١) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار التيار، بيروت لبنان، ٢٠١٣، ٣: ٢٣١.

المبحث الثالث:

فتاوى المرجعية والأمن السلمي

لم تكن المرجعية الدينية بعيدة عن متغيرات الواقع العراقي وأحداثه، كما أن هذه الأحداث لم تكن بعيدة عن المرجعية ودورها الديني، وعليه فقد تعايشت هذه المؤسسة مع هذا الواقع وتعاطت مع الوقائع والأحداث التي مرت به.

وتعدّ مرجعية السيد السيستاني مسموعة في الوسط الشيعي العراقي، إذ نأى بالمرجعية (النجف في العراق) عن الميل إلى طرف دون آخر، في الساحة الداخلية، وعلى الرغم من كثرة أتباعه، إلا أنه بقي بعيداً من الانخراط المباشر بالسياسة، وتدخلاته في الوضع السياسي كانت نادرة منذ الغزو، الذي قاده الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣، إذ قال مع بداية الغزو الأميركي للعراق أنّه: (إذا كان هناك حاجة إليهم (أي الأميركيين) فليكن عملهم بإشراف الأمم المتحدة، لا أن يكون وجودهم في العراق على نحو قوات احتلال)^(١). إلا أنّه في أواخر عام ٢٠٠٣ تدخل في السياسة للمرة الأولى، داعياً العراقيين إلى المشاركة الكبيرة في الاستفتاء على الدستور، الذي أعقبه تشكيل أول حكومة انتقالية، كما دعا سماحته في فترات العنف الطائفي في البلاد بين عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٨، إلى التهدئة، وبعد مرور عام على ذلك، تدخل مرة أخرى لإنهاء المعركة في عام ٢٠٠٤.

وفي الوضع الراهن، بعد هجوم (داعش)، وجّه سماحته دعوة ضمنية إلى تشكيل حكومة وطنية تحظى بتأييد كل العراقيين لها القدرة على تحمل اعباء البلد ومواجهة خطر

(١) السيد علي الحسيني السيستاني، حياته فكره: ١٩٦.

التطرف المتمثل بداعش)، كما طالب سحاته البرلمان بالانعقاد في المواعيد الدستورية، لتشكيل (حكومة تحظى بقبول وطني)، ودعا بعد أيام على هجوم التنظيم، العراقيين من كل الطوائف إلى «مقاتلة داعش»، موضحاً أنه إذا لم يتم طرد هذه الجماعة المتطرفة من العراق، فسيندم الجميع غداً، ومعتبراً إياها جماعة تكفيرية، وبلاء عظيمًا، ابتليت بها منطقتنا^(١).

أما بما يخصّ المسألة الكردية، فدعا إلى عدم التخلي عن مدينة كركوك المتنازع عليها بين العرب والأكراد، مؤكداً أنه «لا يسمح بدمجها أو بيعها»؛ لأنها نفس كل عراقي، مهما يكن اعتقاده الديني، وأن موضوعها غير قابل للنقاش، أو مسموح بطرحه، وقال أن «ثروات العراق يجب ألا تُقسّم بين أشخاص سمحوا لأنفسهم بالتحدث باسم العراق، وهم يسعون لتقسيمه وفق المصالح الخاصة».

أما ما يتعلق بمسألة الفتنة الطائفية، فقال: «إن هذا العمل مرفوض تماماً»، موضحاً أن «لا صراع دينياً بين الشيعة والسنة في العراق، بل هناك أزمة سياسية، ومن الفرقاء من يمارس العنف الطائفي، للحصول على مكاسب سياسية، وخلق واقع جديد، بتوازنات مختلفة، يُضاف إلى ذلك ممارسات التكفيريين الذين يسعون إلى تأجيج الصراع بين الطرفين، ولهم مشروعهم المعروف».

وبما يخصّ مسألة الدستور العراقي الجديد، أوضح أن «أصل الفيدرالية ونوعها المناسب للعراق يجب أن يقرّه الشعب العراقي، عبر ممثليه المنتخبين، مشيراً إلى أن الإسلام هو دين غالبية الشعب العراقي، وإذا كُتب الدستور بأيدي منتخبة من قبل العراقيين، فمن المؤكد أنه ستُمثّل فيه قيم الإسلام، وتعاليمه السمحاء.

ورأى في موقفه من موضوع الانتخابات الرئاسية العراقية الأخيرة أن الشعب العراقي قرّر مصيره بنفسه من طريق إجراء الانتخابات، ودعا مقلّديه إلى المشاركة في

التصويت، باعتبارها واجباً شرعياً.

لقد كانت المرجعية الرشيدة متمثلة بالسيد السيستاني حفظه الله وما زالت على علم ودراية بمخططات الاحتلال في زرع الفتنة الطائفية وتقسيم البلد الى دويلات متناحرة قائمة الاصطفاف الطائفي والمناطقية والتي يمكن عدها القنبلة الموقوتة التي تهدد النسيج الاجتماعي العراقي، وإن إثارة الدوافع والانفعالات المذهبية من جهات دينية ورسمية وسياسية ستكرس الكراهية ثم الرغبة في الانفصال وتقسيم العراق إلى دويلات صغيرة، علماً بأن العشيرة كوحدة اجتماعية تعد عامل توحيد، على الرغم من تباين انتماءات أبناء العشيرة الواحدة المذهبية، و أن الصراع الدائر في العراق، الذي وصل إلى حمل السلاح، أخذ طابعا منطقيا بمزاعم الدفاع عن المذهب، بتشجيع من جهات رسمية^(١).

الكل يعلم ان المرجعية الدينية في العراق خصوصا وفي مجمل الدول التي يتواجد فيها الشيعة عموما لها خصوصية التوجيه والارشاد والنصح من جانب ووضع منهج العمل بالتعبد على فتاواها من جانب اخر، حيث تكون الفتوى ملزمة لاتباع أي مرجع يصدر فتواه باتجاه تحقيق الغرض الالهي وما يتعلق بحياة الناس عموما حين تتعرض حياتهم ومقدساتهم ودينهم الى الخطر الداهم. اليوم نحن في العراق نمر بأقسى ازمة امنية تمر عليه لأول مرة وبهذا الحجم المؤثر في الواقع السياسي والاجتماعي، ان العراق يعاني اليوم من مشاكل حقيقية وتحديات كبيرة فبالإضافة الى التحدي الاكبر في محاربة الارهاب الداعشي والتحديات الامنية الاخرى الناجمة من احتضان البعض للإرهابيين ودعمهم لهم في الفتك بإخوانهم وشركائهم في الوطن بالأزمة الناسفة والسيارات المفخخة، وفي المقابل اعتداء البعض من حاملي السلاح خارج اطار الدولة على المواطنين الآمنين والتعدّي على اموالهم وممتلكاتهم، بالإضافة الى التحدي الامني بمختلف صورته

(١) دور العلماء الشيعة: ٨٦ .

هناك التحدي الاقتصادي والمالي الذي يهدد بانهيار الأوضاع المعيشية للمواطنين نتيجة انخفاض أسعار النفط في الآونة الأخيرة من جهة وغياب الخطط الاقتصادية المناسبة وعدم مكافحة الفساد بخطوات جدية من جهة أخرى، ومع كل هذا المشكل نجدها الراعي السلمي وصمام الأمان الذي يجمع العراقيين في مختلف طوائفهم وإنتماءاتهم الدينية والعرقية، فقد وجهت دعوات متكررة لأطراف العملية السياسية من مختلف المكونات الى رعاية السلم الاهلي والتعايش السلمي بين ابناء هذا الوطن وحصص السلاح بيد الدولة ودعوة المسؤولين والقوى السياسية التي بيدها زمام الامور الى ان يعوا حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم وينبذوا الخلافات السياسية التي ليس وراءها الا المصالح الشخصية والفئوية والمناطقية، ويجمعوا كلمتهم على ادارة البلد بما يحقق الرفاه والسعادة والتقدم لأبناء شعبهم، الا أن الساسة والمتاجرين بدماء العراقيين لم يكونوا على قدر المسؤولية من ذلك، وهذا ما دفع المرجعية الرشيدة في النأي عن نفسها وعدم التدخل في السياسة متخذة من الصمت سلاحاً بوجه هؤلاء الساسة.

لقد دأبت المرجعية الرشيدة منذ اليوم الاول للاحتلال إلى العمل لمصلحة الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداء من الدعوة لتشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة، ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين، والدعوة أيضاً لإجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخابات أعضاء المجالس المختلفة، (مجلس النواب، ومجالس المحافظات والاقضية والنواحي)، وهي تحاول في كل ذلك الحفاظ على الأمن السلمي للمواطن العراقي، ولا تزال تمارس دورها على الرغم من مقاطعتها للسياسيين لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي لتلك التيارات والأحزاب السياسية العراقية، ثم تصاعد هذا الدور وبشكل لافت للنظر بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على أجزاء مهمة في الموصل والانباء وكركوك وصلاح الدين، فاصدرت فتوى الجهاد الكفائي لصد التنظيمات الإرهابية والدفاع عن

الوطن والمقدسات وآخرها الوقوف مع الشعب في مطالبته بالتغيير ومحاسبة المسؤولين المقصرين والفاستدين وتوفير الخدمات للشعب.

وإذا عدنا إلى أسباب تدخل المرجعية الدينية في الأمور السياسية والعامّة للبلاد، فإن هناك عدداً من الأحداث والتطورات التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، جعلت المرجعية الدينية الرشيدة تنهض من طورها التقليدي الذي ابتعد عن التدخل المباشر في الأمور السياسية للعراق، إلى التدخل المباشر، وبطرق عديدة منها التوجيه والإرشاد، ومنها إصدار البيانات حول العمل السياسي ومنها دعوة ومساندة الجماهير في مطالبها السياسية والاجتماعية ومنها الدعوة إلى التهدئة وعدم الانجرار وراء الفتن الطائفية، للحفاظ على وحدة البلد وتوفير الامن السلمي للمواطن، ويمكن أن ندرج بعض هذه الأسباب لذلك ومنها:

١. ترى المرجعية أن دورها يعني الاشراف على شؤون المؤمنين الروحية والعبادية والاجتماعية وهي تكليف وليس تشريعاً وهي قبل كل شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزاً سياسياً، لذا فإن الانتخابات في نظر المرجعية ليست شأنًا سياسياً فقط بل هي شأن اجتماعي والشأن الاجتماعي يدخل في دائرة اهتمامات المرجعية وبحكم تصديه لمقام المرجعية الدينية، (آية الله العظمى السيد علي السيستاني) تدخل في قضية الانتخابات والتي يعتقد أنها الأساس المتين للعملية السياسية وللحياة الاجتماعية في أي مجتمع أو بلد، ومن خلال التأمل في تجارب الامم التي تتمتع بنظم سياسية مستقرة وبحياة هادئة، فسلامة الحياة السياسية يكون بوجود انتخابات حرة نزيهة تعبر عن رأي الأمة وإرادتها، على أن إعطاء رأيه بالانتخابات لم يكن ابتدائياً بل جاء كجواب لتساؤل عرضه عليه بعض مقلديه، وقد أجاب على التساؤل المذكور بصفته مرجعاً للتقليد لا زعيماً سياسياً، كما أن إصراره على الانتخابات يأتي من باب التلميح والحسد باحتمال ميله للإيمان بولاية الأمة على نفسها وبقيمومتها على ذاتها.

٢. إن تدخل المرجعية في الحياة السياسية، نابع من مواقفها وحرصها الشديد على أن ينال كل العراقيين حقوقهم، وان لا يكون هنالك تمييز لشريحة معينة على حساب بقية شرائح الأمة، وتأتي أيضا من تفهم المرجعية الرشيدة لأهمية الدستور في حياة أي أمة وهي ترى أهميتها في حياة الأمم المتحضرة، وهو يتماشى مع ما تدعو إليه المرجعية من إحلال السلم والعدالة الاجتماعية لكافة مكونات الشعب العراقي وان لا يكون لفئة ما امتياز على بقية الفئات، وهذا هو موقف ابوي تجاه شرائح المجتمع العراقي وليس موقفا سياسيا الزاميا.

٣. فلقد كانت مرجعية اية الله (السيد علي السيستاني) ترى بان الامور ستتحسن عند اجراء الانتخابات حيث سيأخذ كل ذي حق حقه، إلا أن ظهور تقصير واضح من قبل الذين تصدوا للعمل السياسي في العراق من مختلف المكونات، من خلال ظهور التقسيم الطائفي - المحاصصة الطائفية - للحكم في العراق وليس على أساس الكفاءة والمؤهلات، كذلك استشرى الفساد المالي والإداري في كل مفاصل الدولة وعلى مختلف المستويات الذي لم يشهده العراق خلال تاريخه السياسي، وأخيرا أدى هذا التنافر بين الكتل السياسية والفساد المالي إلى سوء الخدمات وتزايد مستويات الفقر وسرقة المال العام، ودخول المجموعات الإرهابية كتنظيم داعش الإرهابي والاستيلاء على مساحات واسعة من العراق، وعلى الرغم من التحذير المستمر للمرجعية الدينية للسياسيين من خطورة هذه الأمور على مستقبل العراق، ودعواتها المستمرة إلى الالتزام بحرية الشعب وتوفير العيش السليم له والحفاظ على المال العام، ومطالبتها المواطنين في بداية أي انتخابات على مستوى النواب أو المحافظات، إلى الاختيار على أساس الكفاءة والنزاهة لتولي المناصب العليا في البلاد، وذلك في محاولة لتغيير الوضع القائم وإنهاء حالة الانقسام والفساد المستشري بالطرق الديمقراطية عن طريق الانتخابات، إلا أن الوضع بقي على حاله ولم يتغير، بل زاد من سوء الأمور إلى الأزمة الاقتصادية

لإنخفاض أسعار النفط، كل هذا جعل المرجعية تصاعد دورها في الأمور السياسية للبلاد، وعدم ترك الأمور بيد السياسيين الحاليين.

٤. بعد وصول التنظيمات الإرهابية إلى المناطق المقدسة والآهلة بالسكان، وقتلها الآلاف من العراقيين في الموصل وصلاح الدين على أساس طائفي، وعدم وجود قوات عسكرية نظامية من الجيش والشرطة قادرة على وقف تقدم الإرهاب، أدركت المرجعية الدينية خطورة الوضع الأمني الحالي، واحتمال انجرار البلاد للحرب الأهلية الشاملة، لذا جاءت دعوة المرجعية الدينية لكل العراقيين إلى الجهاد الكفائي للدفاع عن الوطن والمقدسات، وتشكيلها لقوات الحشد الشعبي ودعمهم بالمال والسلاح، إذ إن تحاذل السياسيين والانقسام بين الكتل والأحزاب السياسية، دفعها لان تأخذ زمام المبادرة في الدفاع عن الوطن والمقدسات والشعب.

٥. تسعى المرجعية الدينية للاحتفاظ بالطابع الإسلامي للعراق، خاصة في الوقوف بوجه الإحلال والمد التكفيري، ولذا لم توافق على الوجود الأميركي لوقت طويل، كما أن القيادات السياسية كانت تحاول كسب رضا المرجعية الدينية ومباركتها لخطواتها وقراراتها، كما حدث في الانتخابات السابقة لاكتساب الشرعية، كذلك رفضت اغلب هذه القيادات السياسية تواجد الاحتلال في العراق ودعت لاجراجه.

٦. تمتع المرجعية الدينية في العراق بالتأييد الشعبي الواسع ومن مختلف شرائح ومكونات المجتمع، وذلك لمواقفها الوطنية التي لم تفرق بين مكون وآخر، وتصديها لدعم القيادات السياسية في العراق تحقيقاً لتوازن سياسي، وتحقيقاً لسلم اجتماعي لعدم وقوع حرب طائفية أو أهلية وصولاً الى استقرار المجتمع العراقي داخلياً، فقد دعت للتهدة في العديد من الاحداث ومنها تفجير مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، لقد كانت المرجعية الدينية واعية للمخططات الامريكية التي تحاك ضد العراق ومحاوله إثارة الحرب الطائفية فيه، فكان لهذا التأييد الشعبي الواسع لها بمثابة دعوة شعبية

لتدخل المرجعية الدينية في الشؤون العامة للبلاد، وعدت الملجأ الأول والأخير للعراقيين للوقوف بوجه السياسة الإدارية غير الفعالة في العراق.

٧. بعد المظاهرات الأخيرة المطالبة بالإصلاح والخدمات، دعت المرجعية الدينية عبر وكلائها في كربلاء الى الاستجابة لمطالب المتظاهرين وتوفير الخدمات لهم والقيام بالإصلاحات الضرورية، لقد سبقت المرجعية هذه الدعوات بسنوات عديدة، إذ ومنذ الاحتلال دعت إلى الإصلاح السياسي وتوفير الخدمات والأمن للشعب العراقي، لهذا كانت دعوة المرجع الأعلى (آية الله العظمى السيد علي السيستاني) ومن خلال وكيل المرجعية في كربلاء في خطب الجمعة الحكومية العراقية باتخاذ «خطوات جادة» لتحسين الأوضاع في البلاد غداة تظاهرات عمت المحافظات العراقية وقال: «إن المرجعية الدينية العليا إذ تقدر عالياً أداء المواطنين الأعداء ممن شاركوا في مظاهرات يوم أمس بصورة سلمية حضارية ومن لم يشاركوا تحسباً لمخاطر استغلالها من قبل ذوي المآرب الخاصة تدعو مجلس النواب والحكومة العراقية إلى اتخاذ خطوات جادة وملموسة في سبيل تحسين الخدمات العامة ولاسيما الطاقة الكهربائية ومفردات البطاقة التموينية وتوفير فرص العمل للعاطلين ومكافحة الفساد المستشري في مختلف دوائر الدولة، وقبل هذا وذاك: اتخاذ قرارات حاسمة بإلغاء الامتيازات غير المقبولة التي منحت للأعضاء الحاليين والسابقين في مجلس النواب ومجالس المحافظات ولكبار المسؤولين في الحكومة من الوزراء وذوي الدرجات الخاصة وغيرهم والامتناع عن استحداث مناصب حكومية غير ضرورية تكلف سنوياً مبالغ طائلة من أموال هذا الشعب المحروم وإلغاء ما يوجد منها، إن المرجعية الدينية التي طالما أكدت على المسؤولين ضرورة العمل على تحقيق مطالب الشعب المشروعة تحذر من مغبة الاستمرار على النهج الحالي في إدارة الدولة ومما يمكن أن ينجم عن عدم الإسراع في وضع حلول جذرية لمشاكل المواطنين التي صبروا عليها طويلاً»، كما أكد المرجع الأعلى أيضاً على: «إن المرجعية الدينية العليا

في الوقت الذي تؤكد على تعاطفها مع مطالب المواطنين المشروعة وحقهم في التعبير عن آرائهم بصورة سلمية، تبدي قلقها من أن تخرج التظاهرات التي دعا إليها بعض الأطراف عن السيطرة وتستغل من قبل ذوي المآرب والأجندات الخاصة وتؤدي إلى إزهاق الأرواح والتعدي على الممتلكات العامة والخاصة، ولذلك تهيب بالمواطنين أن يكونوا على حذر من هذا الأمر.

٨. إن القوة الناعمة التي اعتمدت عليها المرجعية الدينية في النجف، التي تعتمد على أسلوب التصاعد الهادئ، في نبرة المطالبة بالتغيير والإصلاح، وهو أسلوب دبلوماسي نموذجي جديد، يستحق فعلاً أن يكون مدرسة مستقلة بذاته؛ لأن المرجعية نجحت بأدوات وطرق بسيطة تمتلكها- بسيطة من حيث عدم امتلاكها لأي جناح من أجنحة السلطة- من أن تغير الكثير من المعادلات، دون الخروج عن أطر النسقية الديمقراطية الحاكمة في البلد، إذ إن المظاهرات التي حصلت في العراق، لم تكن عفوية، بل إنها جاءت متناغمة مع منهج التصاعد البطيء، الذي اتبعته المرجعية الدينية، في تصعيد خطابها الإصلاحي، ضد فساد سلطات الدولة ومؤسساتها، إلى درجة وصلت فيها حالة التناغم بين الجمهور والمرجعية، بأن يكون كلام المرجعية شعارات ترفع، ومطالبات رسمية تقدم من قبل الجماهير، مع انصياح عجيب من قبل الحالة العامة للمتظاهرين مع توصيات المرجعية، في ضبط إيقاع المظاهرات، وضبط الحالة الانفعالية، وفورة الغضب لدى الجمهور في مجملها العام.

ومن هذا كله تثبت لنا ان المرجعية الرشيدة لها الدور الفاعل والذراع الاطول في عملية بناء المؤسسات، والقيام بالتغيير والاصلاح، اذ لا يوجد اي دور ملموس للسياسيين ورجال الدولة العراقية في حركة الإصلاح والتغيير الاخيرة، فمن خلال أدواتها البسيطة المعتمدة على ثقة الجمهور بها، وبنزاهتها وبحالتها الأبوية، ومن حسن وصفه وفعله من السياسيين، لا يمكن إعطاؤه دوراً أكبر من دور المنفذ لتوصياتها؛

أحدثت المرجعية الدينية ثورة للمطالب والإصلاح، وإن دورها سوف يكون له وقع خاص في أحداث العراق اللاحقة، فقد استجاب لمطلبها كل السياسيين العراقيين، من سنة وشيعة وكرد، إذ إن تصويت البرلمان على حزم الإصلاح في البرلمان وبوقت قصير جداً ما كان ليحدث لولا تدخل المرجعية الدينية، كما أن ضبط الشارع والمظاهرات هو الآخر ما كان أن يكون سلمياً لولا دعوة المرجعية إلى سلمية المظاهرات، واحترام المؤسسات العامة، فقد رأينا سابقاً كيف تحولت مظاهرات واعتصامات أهل الأنبار والموصل - رغم الفارق الكبير بين هذه المظاهرات وتلك - إلى أعمال عنف، وإيواء المعارضين للعملية السياسية، والطائفيين، والسبب هو عدم وجود مرجعية دينية يخضعون لها تقودهم نحو السلمية والتهدئة.

وما زالت المرجعية الدينية الرشيدة وعلى رأسها (آية الله العظمى السيد علي السيستاني) ترقب الأحداث يوماً بعد يوم، وتسعى للحفاظ على التظاهرة التي غايتها الإصلاح، وأن لا تُجبر لجهة سياسية، وبالخصوص الجهات الرسمية والحزبية التي قد تنبري لاحتواء هذه التظاهرة بالمال وبالوعود الوردية الكاذبة، لأنه من الخطر أن تقدم الجهات الحزبية المتهاكمة على المنصب والمال لتتبنى تلك التظاهرات، كما لا بد لنا أن لا ننسى الدور الذي يلعبه البعثيون في مراقبة الساحة السياسية والعمل بالخفاء لاستغلال الموقف لصالح أجنداتهم الخاصة. وإن تظاهرة السابع من آب من هذا العام أظهرت أهمية الدور الذي تؤديه المرجعية الدينية في تجسيد المشروع المقاوم للفساد المنتشر في جميع مرافق الدولة داخل البرلمان التشريعي والحكومة التنفيذية بسبب المحاصصة والشراكة البغيضين، كما أظهرت التظاهرة أهمية الحشد الشعبي الطبيعية للدفاع عن المشروع الإصلاحي للدولة العراقية بدءاً من مقاومة الإرهاب وانتهاء بمقاومة الفساد المستشري في أوساط الطبقة السياسية والطبقة الحاكمة، ولقد آن الأوان للشروع بعملية الإصلاح السياسي والأخلاقي، ومحاربة الفساد بتغيير بعض بنود الدستور لإنهاء



حالات الجنوح السياسى والقانونى.

الخاتمة

بعد هذا التجوال الممتع والجميل في مواقف المرجعية الرشيدة وأثرها على السلم الأهلي نصل الى الخاتمة التي نوجزها:

١. لقد اثبتت المرجعية الرشيدة بأنها الصمام الامان، ليس للمسلمين فقط بل لجميع اطراف الشعب العراقي.

٢. لقد اثبت الحشد الشعبي بأنه الاداة الرادعة لكل مخططات الاستعمار ودوائره الامبريالية

٣. ترى المرجعية أن دورها يعني الإشراف على شؤون المؤمنين الروحية والعبادية والاجتماعية وهي تكليف وليس تشريعاً وهي قبل كل شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزاً سياسياً.

٤. إن تدخل المرجعية في الحياة السياسية، نابع من مواقفها وحرصها الشديد على أن ينال كل العراقيين حقوقهم، وان لا يكون هنالك تمييز لشريحة معينة على حساب بقية شرائح الأمة، وهو يتماشى مع ما تدعو إليه المرجعية من إحلال السلم والعدالة الاجتماعية لكافة مكونات الشعب العراقي.

٥. جاءت دعوة المرجعية الدينية لكل العراقيين إلى الجهاد الكفائي للدفاع عن الوطن والمقدسات، وتشكيلها لقوات الحشد الشعبي ودعمهم بالمال والسلاح، لإدراكها خطورة الوضع الأمني الحالي، واحتمال انجرار البلاد للحرب الأهلية الشاملة.

٦. تسعى المرجعية الدينية للاحتفاظ بالطابع الإسلامي للعراق، خاصة في الوقوف

بوجه الإحتلال والمد التكفيري.

٧. على الرغم من التأييد الشعبي الواسع لها، إلا أنها لم تفرق بين مكونات الشعب العراقي تحقيقا لتوازن سياسي، وتحقيقا لسلم اجتماعي لعدم وقوع حرب طائفية او اهلية وصولا الى استقرار المجتمع العراقي داخليا.

٨. نجحت المرجعية بأدوات وطرق بسيطة تمتلكها من حيث عدم امتلاكها- لأي جناح من أجنحة السلطة- من أن تغير الكثير من المعادلات، دون الخروج عن أطر النسقية الديمقراطية الحاكمة في البلد.

٩. تراكم الازمات واستفحال الاخفاقات في الشأن العراقي جعل المرجعية الرشيدة في النجف الاشرف الى تخاطب الحكومة العراقية بلسان الشعب بضرورة الاصلاح ومحاسبة الفاسدين.

المقترحات

ولأجل تطوير وجود وعمل الحوزة الدينية في الشؤون السياسية بصورة أكثر فاعلية، نقترح أن يتم اشارك علماء الدين من ذوي الخبرة والاختصاص في مناصب في السلطة القضائية والمؤسسات المدنية الأخرى في الدولة، لأجل العمل على التزام الدولة بحقوق المواطنين، ومنع المسؤولين من التعدي على حقوق المواطنين والمال العام، وتطمين الشعب من أن المرجعية الدينية قريبة من صنع القرار ومهتمة بتنفيذ مطالب المواطنين، وأخيرا تشكيل مجلس شوري مرجعي موحد، يجمع كل مراجع الدين في الحوزات الدينية المختلفة، لتشكيل قيادة موحدة للتشاور في إدارة شؤون البلاد وتوحيد دورها القيادي في المجتمع.

المصادر

- القرآن الكريم.
- الاسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر، مجمع الثقلين العلمي ط٣، بغداد، ٢٠٠٤.
- الثورة العراقية الكبرى، عبد الرزاق الحسيني، مؤسسة المحبين، قم ١٤٢٦ هـ.
- الحراك الجماهيري الشعبي الواسع والتغير في البلدان العربية، د.علي عودة العقابي، دار الضياء، بغداد ٢٠١٣.
- دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، سليم الحسيني، مؤسسة الثقلين، دمشق، د.ت.
- ربيع الشعوب، وخريف الدكتاتوريات، اكرم الحكيم، مطبعة العدالة، بغداد ٢٠١٢.
- السيد علي الحسيني السيستاني، حياته فكره، اصدار مكتبة الحضارة، بيروت- لبنان ٢٠١٠.
- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار التيار، بيروت لبنان، ٢٠١٣.
- موجز تاريخ العراق السياسي الحديث، مختار الاسدي، ط١، ٢٠١٤.
- موجز تاريخ العراق السياسي الحديث، مختار الاسدي، ٢٠٠١.
- موسوعة السياسة العراقية، د. حسن لطيف الزبيدي، دار المعارف، بيروت،

